

## اقرأ رومية 2 : 17-29

لا يمكن أن يصيبني هذا

رغم أن تعليم بولس الرسول عن الدينونة واضح جداً؛ لكن بعض الأشخاص لا يقبلون هذا الحق. ومع أنه مكتوب في ضمائرهم أن الله سوف يدينهم؛ لكنهم لا يعترفون بذلك.

في وقت بولس الرسول لم يكن من الممكن أن يصدق اليهودي أن الله يتعامل معه، كما يتعامل مع أي شخص آخر. لقد خُتِنَ – وهو صغير جداً – كعلامة على أنه صار عضواً في تلك الأمة التي قطع الله معها عهداً. كما أنه يمتلك ناموس الله – بخلاف الوثني. إنه لا يستطيع أن يقبل أنه يمكن أن يُدان مثل باقي الناس؛ الذين ليس لديهم هذه الامتيازات التي يتمتع بها. إن لسان حاله: "لا يمكن أن يصيبني هذا".

يوجد مثل هؤلاء الناس في وقتنا هذا، فالكثير منهم قد اعتمد بالماء، ويسمع كلمة الله بانتظام، ويمارس الفرائض المقدسة. ويعتقد هؤلاء أن الآخرين ممكن أن يكونوا في طريقهم إلى الدينونة؛ لكنهم لا يصدقون أنهم تحت الدينونة. إنهم يخدعون نفوسهم، باعتقادهم أنه بإمكانهم أن يرضوا الله. وعندما يواجهون بحقيقة الدينونة؛ فإنهم يقولون: "لا يمكن أن يصيبنا هذا".

يرد بولس الرسول على هؤلاء الناس في العدد 13 قائلاً: "لأن ليس الذين يسمعون الناموس هم أبرار عند الله؛ بل الذين يعملون بالناموس؛ هم يُبررون". هذا هو بحق القول الفصل في هذا الموضوع. ويستفيض بولس الرسول شارحاً ومفصلاً

هذا التعليم؛ حتى أنه من المستحيل على أي شخص أن تفوته هذه النقطة. هذه الأعداد هي لكل الذين يظنون أن الدينونة: "لا يمكن أن تصيبهم".

### تهنئة الذات

في الأعداد 17 - 20 ، يضع بولس الرسول قائمة بالأمر، التي كان اليهودي يهنئ نفسه من أجلها في ذلك الوقت:

1. إنه يسمي نفسه يهودياً، ويفتخر بهذا اللقب، إذ يجعله عضواً في الجنس المختار.
2. إنه يتكل على امتلاكه الناموس، ويفتخر كثيراً بأن شعبه له امتياز رعاية الناموس.
3. إنه يفخر بعلاقته بالله، وبأن شعبه فقط هو الذي نال استحسان الله.
4. إنه يفخر أيضاً بمعرفته لمشيئة الله، ولسان حاله: " انظر إلى النور الذي لنا، إننا لسنا وثنيين جهلاء؛ لكننا نعرف ما قاله الله ".
5. إنه يفخر كذلك بكونه موافقاً ومُرضياً، ومصداً على الناموس الذي تعلم منه ويعتبره ممتازاً.
6. إنه يفخر - بكل غرور - بأنه كفؤٌ أن يقود العميان، وأن ينير العالم المظلم، وأن يهدب الأغبياء، وأن يعلم الأميين الذين يحتقرهم ويعتبرهم أطفالاً. فهو مزهوٌ لإحساسه بالترفُّع.
7. إنه يؤكد لنفسه قائلاً: " نحن فقط الذين نملك الحق ". إن بولس الرسول لا ينكر هذا على اليهودي؛ لكن هدفه هنا هو إظهار اليهودي بالتباهي بذلك، عوض أن يمتلى بروح العرفان بفضل الله عليه في اتضاع.

وباختصار في أيام بولس كان اليهودي يعتبر أنه ليس هناك أحد مثله. إنه متميز على الجميع. لقد عامله الله معاملة مختلفة عن كل الباقين؛ فكيف يمكنه إذاً أن يفكر أنه في الدينونة سوف يُعامل مثل الآخرين تماماً. إنه يقول لنفسه بكل ثقة: "إن هذا لا يمكن أن يصيبني".

الخطأ واضح لكن الكثيرين يقعون فيه. ربما بعض الذين يقرأون هذا الكتاب يعتقدون أن الله كان رحيماً معهم بصفة خاصة، فقد استأنمهم على كلمته، لكي يفهموا الكثير منها ويحبوها. إنهم متأكدون أنهم وحدهم الذين يستطيعون هداية الضالين، وإنارة العالم المظلم، وهم يفتخرون بهذا. ربما أنت نفسك تكون مثلهم؛ لذلك لتدرس ما قاله بولس الرسول بعد ذلك.

#### انتفاء تهنئة الذات

في الأعداد 21 – 24، يطرح بولس الرسول سلسلة من الأسئلة المحددة: " لقد سمعت مجاهرتك بإيمانك؛ لكن ماذا عن أعمالك؟ إنك تعلم الآخرين؛ فماذا عن نفسك؟ هل تمارس ما تعظ به؟ إنك تعلم الناس ألا يسرقوا؛ فهل أنت تفعل ذلك؟ إنك توبخ الزنا؛ لكن هل أنت متورط فيه بأي شكل من الأشكال؟ إنك تستكره الأوثان؛ فهل تدنس المقدسات – على سبيل المثال – بأن تشعر بالملل أثناء العبادة أو تقصر في دفع عشورك لله؟ هل تفعل مثل هذه الأشياء التي كانت تتميز بها العبادة الميتة في أيام ملاخي؟ "

إنك تفتخر بالناموس؛ ومع ذلك تكسره! وبهذه الطريقة فإنك تهين الله، أكثر مما يفعل الوثني حينما يكسر الناموس. وعلى عكس ما تدعي، فإن الوثني لا يدعي أنه من شعب الله. ليس لديك إذا سبب للافتخار؛ بل للاتضاع. إن الوثنيين يكونون صورة عن الله من خلال سلوك شعبه. إن تصرفاتك تجعل الأميين يسخرون من اسم الله. لقد كانت خطاياك ضد النور الذي لديك؛ ومع ذلك لا تزال تعتقد أن الله لن يدينك. إن لدى الله من الأسباب ما يجعله يدينك أكثر من الآخرين، وليس أقل منهم.

إن أولئك الذين يفتخرون بنقاوة عقيدتهم، عليهم أن يحرصوا على أن يلازم العقيدة سلوك مقدس. هل تعتقد أنك تفهم كلمة الله أفضل من كثيرين؟ حسنًا؛ لكن هل تعيش حسب تلك الكلمة المقدسة؟ هل يتناسب سلوكك مع استقامة عقيدتك؟ إن غير المؤمنين يكوّنون صورة عن الله من خلال الطريقة التي تعيش بها. إنك تخدع نفسك إذا فكرت أن الدينونة " لا يمكن أن تحدث لك على الإطلاق ". بلى يمكن، وبالتأكيد سوف تحدث.

### الثقة في الختان

انظر إلى الأعداد 25 – 29، حيث يتحدث الرسول بولس باستفاضة عن الختان. كان اليهودي - في أيام الرسول بولس - يفتخر بأنه يحمل في جسده، علامة العهد الخارجية الدائمة المنظورة. كان يعتبرها الضمان الذي يبعد عنه دينونة الله. كان لسان حاله كيف يتعامل الله مع أولئك الذين لهم علامة العهد بنفس الطريقة التي يتعامل بها مع الذين ليس لهم هذه العلامة؟ ينبّر اليهودي بشدة على حقيقة أنه ينحدر مباشرة من نسل إبراهيم، الذي كان أول من حمل هذه العلامة في جسده. واليهودي يعتقد أنه واحد من أولاد إبراهيم، ووارث للمواعيد التي أعطيت له. وعلامة العهد هي تذكّار أبدي لهذه المواعيد؛ فكيف يمكن أن يدينه الله مع أولئك الذين ليس لهم هذا النسب المفضّل؟

هذا الاتجاه من المناقشة يبدو مقتنعًا، وقد كان مشبعًا بالفعل لليهودي في أيام بولس. والمناقشات التي تكون مؤسسة على الطقوس الخارجية، يكون لها قوة إقناع كبيرة؛ حتى في يومنا هذا. هناك آلاف مؤلفة من البشر، قد علّقوا آمالهم في الحياة الأبدية، على الطقس الخارجي للمعمودية، والآخرين وضعوا ثقتهم في أعمال منظورة، مثل قراءة الكتاب المقدس وحضور الكنيسة والتناول من مائدة الرب. لكن الله ينظر فقط إلى الداخل؛ وليس إلى الأمور الخارجية المنظورة التي يعلّق عليها الكثيرون رجاءهم

المزيف. ترى، ماذا كان لدى بولس الرسول ليقوله – لليهود المعاصرين له – في هذه القضية؟

### انتفاء الثقة في الختان

دعونا نتابع جدل بولس الرسول، نقطة بنقطة، في الأعداد 25 – 29 .

يوضح بولس الرسول في عدد 25 أن الختان في حد ذاته ليس غاية، إنه رمز لشيء ما. إنه في الحقيقة علامة على التخصيص لله، فإذا كنت مخصصاً لله فهذه دلالة عظيمة. لكن إذا لم تكن مخصصاً لله، بكسرك للناموس، فما فائدة العلامة حينئذ؟ ما قيمة أن تمتلك العلامة، ولا تمتلك الحقيقة الداخلية؟ العلامة الخارجية عديمة الفائدة؛ إذا لم تكن مصحوبة بالنعمة الروحية الداخلية، التي ترمز لها هذه العلامة.

في عدد 26 يتابع الرسول بالقول إنه إذا كان لدى الشخص – بالحقيقة – النعمة الروحية الداخلية، فلا يهم كثيراً إذا ما كان هذا الشخص يمتلك العلامة الخارجية المنظورة أم لا. هذا الشخص يمتلك ما هو مهم حقاً، والعلامة الخارجية ليست مهمة على الإطلاق، إذا ما قورنت بالنعمة الداخلية. فإذا افترضنا أن هناك أممياً يحفظ الناموس؛ فإنه يبرهن بالفعل على أنه مخصص لله. إنه يمتلك بالفعل النعمة الروحية الداخلية، التي ترمز لها علامة الختان؛ بالرغم من أنه ليس له العلامة نفسها. فغياب العلامة لا يهم كثيراً. إنه سيحسب كمن يمتلك هذه العلامة بالفعل؛ لأن له الحقيقة الداخلية؛ التي تشكل العلامة الخارجية مجرد رمز لها.

في عدد 27 نرى أن مثل هذا الشخص الأممي يفضح اليهودي، الذي يكسر ناموس الله. الأممي الذي يحفظ ناموس الله، هو مخصص لله؛ بالرغم من افتقاره للعلامة، واليهودي الذي لا يحفظ الناموس هو غير مخصص لله، وامتلاكه للعلامة (الختان) لا

يغيّر شيئاً من هذه الحقيقة. واحد يمتلك الحقيقة؛ والآخر ليس عنده سوى الطقس. واحد مقبول عند الله؛ والآخر غير مقبول. إن مجرد امتلاك العلامة لا يعني شيئاً. هذه هي النقطة الرئيسية، التي يحاول الرسول بولس أن يؤكد عليها. لا يمكن ليهودي أن يشير إلى العلامة على جسده ويجادل بأن الله يمكن أن ينجّيه من الدينونة، (وهذا ينطبق على كل من يضع ثقته في بعض الطقوس أو الممارسات الخارجية) ولا يمكن أن يقول عن الدينونة: "لا يمكن أن تحدث لي".

في عددي 28 ، 29 يلخص الرسول كل هذه الأمور. إن كلمة "يهودي" تعني مدح. اليهودية الحقيقية؛ ليست العلامات الخارجية، إنها نعمة روحية داخلية. الناس قد يمتدحون الأشياء التي يمكنهم أن يروها؛ ولكن هذه الأشياء لا يمدحها الله؛ فالله ينظر إلى حيث لا يمكن للإنسان أن يرى، ينظر إلى القلب. إنه يقيم الشخص على أساس ما يراه في القلب.

لقد وضح بولس الرسول أن الله لا يهتم ما يبدو عليه الإنسان من الخارج. وبهذا يكون قد حطم الوهم بأن الأمور الخارجية يمكن أن تخلص الإنسان. إن الرسول لم يستطع أن يشرح طريق الخلاص، قبل أن يوضح هذه النقطة تمامًا. والآن يتوقف الرسول أمام بعض الاعتراضات، التي يمكن أن تثار حول هذا الموضوع، ليرد عليها؛ وبعد ذلك يعلن طريق الخلاص بكل وضوح.